بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المؤتمر العلميّ العالميّ الخامس

الوقف الإسلاميّ : التَّحديات واستشراف المستقبل

تحت شعار

الوقف... صدقة جارية ... ونماء.... لا يتوقَّف

الأوقاف في سلطنة الفور الإسلاميّة

1400 ـ 1916م

إعداد الأستاذة :

ابتهال جعفر عوض جعفر

محاضر بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

الزمان : الثُّلاثاء والأربعاء 17-18 شوال 1438هـ * 11-12 يوليو 2017م

المكان : قاعة المؤتمرات بوزارة التعليم العالي

السُّودان – الخرطوم

web: www.quran-unv.edu.sd

E-mail: quranun@gmail.com

الأوقاف في سلطنة الفور الإسلامية 1400-1916م

يعتبر الوقف ظاهرة حضارية تميزت بها الشريعة الإسلامية وكان لها حضورها على تعاقب عصور الدولة الإسلامية حال ضعفها وقوتها، حيث أسهم عبر التاريخ الإسلامي بقوة في التنمية والمشاركة في صنع الحضارة. للوقف أهمية اقتصادية حيث أن فكرته تقوم على تنمية قطاع ثالث متميز عن كل من القطاع الخاص، والقطاع الحكومي، للوقف مقاصد ومنافع تبرز آثارها في مختلف المجالات اقتصادية كانت أو أجتماعية أو علمية أو تعليمية، والمؤسسة الوقفية عبر تاريخها الطويل، لم تقم على أكتاف المؤسرين المقتدرين مالياً من المسلمين، بل اشترك فيها طواعية كل أفراد الأمة الإسلامية كلٌ حسب استطاعته، فكانت مؤسسة جليلة أدت دوراً مهماً وحيوياً عبر تاريخ الإسلام.

إن نظام الوقف يشمل مختلف أنواع الثروة من مزارع وأراضي وعقارات وأدوات إنتاج، كما يشمل مختلف مجالات الحياة سواء الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية. فبجانب الوقف على أماكن العبادة، كانت هناك أماكن تلقي العلم ومساكن المحتاجين، والإنفاق على الفقراء، وفي المجال الصحي عبر إنشاء المستشفيات، وغيرها الكثير من مجالات الوقف.

الإسلام في سلطنة الفور:

يقع إقليم دارفور في القسم الغربي من السودان بين خطي عرض 10-16درجة شمالاً، وبين خطي طول 22-27,5 درجة شرقاً، يحدها من جهة الجنوب بحر الغزال، ومن الغرب سلطنة وداي، ومن الشمال الصحراء الكبرى، ومن الشرق كردفان. وقد ذكر محمد عمر التونسي حدود دارفور بقوله: (حدود الفور من جهة الشرق أقصى الطويشة ، ومن الغرب آخر دار المساليت وآخر دار قُمر وأول دار تاما، وهو الخلاء الكائن بينهما وبين دار فرتيت، ومن الشمال المزروب وهو أول بئر يعرض لمن يتوجه من جهة الديار المصرية)(1).

الداجو هم أول من أسس دولة منظمة في تاريخ دارفور، عمرت قرابة الثلاثمائة سنة، امتدت بين القرنين الرابع والسابع الميلادي، ثم غشيها الخراب حين استولى التنجر

على شمال دارفور، وظلوا يهيمنون على البلاد من القرن الثامن حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، حيث داهمتهم جيوش كانم، واسقطت عاصمتهم عين فرح ويبدو أن الفور بدأوا عجلتهم من جبل مرة في القرن السادس عشر الميلادي بقيادة أسرة كيرا وهم نتاج الاختلاط بين الكنجارة والأصل العربي ممثلاً في أحمد المعقور، ومن أمراء بني هلال النازحين من شمال أفريقيا فيما تقول الرواية التقليدية عند الفور(2).

ظهر الإسلام في البلاط الملكي على يد سليمان سولونج – العربي بلغة الفور– (حكم 1640–1670م) الذي جعل من سلطنة الفور سلطنة إسلامية، كان مسلماً متحمساً، تمكن من السيطرة على كل دارفور، وعمل على نشر الإسلام بين الوثنيين ، أخضع البرتي والبرقد والمساليت والزغاوة ، متخذاً من طرة شمال جبل مرة عاصمة له. بنى بها أول مسجد، أقام الخلاوى لتعليم القرآن الكريم وعلوم الدين، ورغّب الناس في الدين بالهدايا والألطاف ، بدأت الأسر الدينية تدخل دارفور في عهده، منهم الجوامعة، فقد وفد حامد بن عبد الله (الفقيه) بدعوة من السلطان سليمان سولونج، والفكي إدريس الذي جاء من أرض النيل إلى طرة، وصار إماماً في جامع السلطان، ومعلماً للناس أمور الدين، وقد ظل ابناؤه وأحفاده يتوارثون التعليم الديني في طره(3).

لقد دخلت التأثيرات الإسلامية دارفور من عدة اتجاهات من بلاد النيل عبر كردفان، ومن مصر عبر درب الأربعين، ومن بلاد السودان الغربي (غرب أفريقيا). لذلك نجد في جملة العلماء والفقرا الذين ظهروا في تاريخ دارفور بعضاً من الحجاز أمثال محمد بن صالح الكناني الذي كان إماماً للسلطان محمد دورا (حكم 1722–1732م)، وبعضاً من أهل النيل الشيخ إدريس الذي جاء في عهد السلطان سليمان سولونج، وصار ابناؤه حفظة المقر القديم للسلطنة في طرة بالإضافة لمركزهم الديني المرموق، وحسن الأحمر من كردفان، وبعضاً من السودان الغربي الشيخ علي الفوتاوي الذي جاء من باقرمي في عهد السلطان أحمد بكر (حكم 1682–1722م) ومحمد البولاوي الذي كان في عهد السلطان محمد الحسين (حكم 1 839–1874م) والفكي محمد من قبيلة الميما وأخيراً عمر التونسي وابنه محمد عمر من تونس.

كانت حفاوة سلاطين الفور بالعلماء بالغة وبالقرآن وحفظته كبيرة، ومن ظواهر دخول الإسلام في بلاد الفور أنه دخل باعتباره ديناً معتقداً وكحضارة أرقى وأسمى، ولم يكن مسنوداً بهجرات عربية واسعة ، كما هو الحال في إقليم النيل. لقد كان التحول الحاسم لتاريخ الإسلام في سلطنة الفور عملية داخلية، إذ اتخذ البلاط السلطاني الإسلام ديناً وفرض طابعه على الدولة وشجع نشره في البلاد(4).

هذه الواقعة يسَّرت تلاقحاً ثابتاً بين الإسلام وبين الأعراف المحلية ويسر بقاء الجانبين في تركيب المجتمع دون اصطدام أو تعارض صارم.

فالنظم الإسلامية الخاصة بالحكم دخلت التركيب السياسي للسلطنة دون أن تعرض التركيب القديم للانهيار، أو دون أن تدعو لتهديمه، وأن الطابع الإسلامي قد أضفى على السلطنة بشكل عام واستقرت الشريعة الإسلامية مع العرف المحلي ليكون الاثنان معاً الفيصل في الأمور، والقاعدة في تحديد المصالح والحقوق، واللغة العربية أضحت أداة التدوين بجانب لغة الفور التي ظلت لغة الحديث، والمظاهر الاجتماعية، وكذلك الوجهات الاجتماعية الإسلامية صارت لها مكانة في المجتمع.

كانت عملية التلاقح هذه بين الإسلام والأعراف المحلية في دارفور عملية حضارية فريدة وذات أعماق واتساع وعناصر تتشابك وتتداخل، وأنه لمن العسير أن يوفى حقها في مقدمة كهذه وصفاً وتحليلاً.

إن الإسلام بوصفه معتقداً دينياً وكثقافة أقوى كان يمثل تياراً يتقدم على الدوام على حساب الأعراف المحلية، خاصة وأنه لم يكن هناك دين ينافسه أو تيار ثقافي مماثل يعارضه، ولكن علينا ألا نقلل من قوة العرف المحلي، أو أن نعتبر أنه أخلى مكانه كلياً للإسلام، فالعرف كان مسيطراً في الحياة العملية ، فالعرف والشريعة الإسلامية يعيشان ويتكيفان معاً داخل إطار الظروف الاجتماعية. إن مجتمع دارفور كان يأخذ من الإسلام والعرف المحلي معاً، وكل ما يقابله من الجانبين كان صواباً في نظر هذا المجتمع.

يعود الفضل الأكبر في وضع السلطنة في طورها الإسلامي إلى السلطان سليمان سولونج وابنه موسى (حكم 1670-1782م) من بعده، ثم جاء أحمد بكر (حكم 1682-1722م) ابن السلطان موسى، ويُعد من أعظم بناة السلطنة، فهو الذي مدّ

نفوذها شمالاً وغرباً، ووطد علاقاتها مع جيرانها ، وكان سلطاناً مهاباً، اتخذ من (قرّي) تقع غرب جبل مرة عاصمة ثم تحول إل الشمال فكانت عاصمته (مُرّ) وسكن في جبل (أبو عسل) وربما كان لتحويل فاشره – عاصمته- من مكان لآخر له علاقة بنشاطه السياسي والحربي، حارب القمر حرب دامت سبعة أعوام وانتصر عليهم، وهو الذي أدخل السلاح الناري في دارفور(5).

نظّم السلطان أحمد بكر السلطنة بصورة جديدة ، تحت ظروف هذا التوسع وشجع هجرة العلماء وتجار النيل إلى بلاده، ويبدو أنه كان متيقظاً لأهمية التجارة وما يمكن أن يلعبه الفقرا والعلماء والتجار في دولته من دور، وقد ظل اتجاه الاتساع إلى الغرب، فقد هزم وداي في واقعة كبكابية، حتى جاء السلطان محمد تيراب (حكم 1752-1787م) ، وحول اتجاه التوسع إلى الشرق ونقل العاصمة إلى شوبا بالقرب من كبكابية، وبنى في شوبا قصر ومسجد فخيم بالطوب المحروق لا تزال آثاره باقية إلي يومنا هذا(6).

لقب بتيراب -أي البذور أو التقاوى- لكرمه وحلمه واتسام عهده بالخصب والدعة والرخاء، عرف عنه التدين والتفقه في الدين، كان ليناً مع الضعفاء والمساكين يحبهم ويحبونه ، في سنة 1770م حول عاصمته من شوبا إلى أريل شرقي جبل مرة وأنشأ جيش نظامي يطلق عليه اسم (كوركوا) أو حاملي الحراب بلغة الفور، وقد اتسع في عهده نطاق التأثير الإسلا مي وظهرت الألقاب الإسلامية كالأمين والوزير والقاضي، خرج السلطان تيراب نحو عام 1785م في جيش عرمرم قاصداً كردفان لتأديب السلطان هاشم المسبعاوي، الذي شن هجوماً على دارفور يريد الاستيلا ء عليها، ولما تسامع السلطان هاشم بقدوم هذا الجيش الكثيف فر وأهله إلى سنار، حيث التجأ إلى سلطان الفونج ولم يلحق تيراب بهاشم ولكن حارب العبدلاب وانتصر عليهم، وغنم نحاسهم المصورة، وهو من شارات الملك عنده، وأخذ يستعد للزحف على سنار فوجد في طريقه النيل، ولم يكن عنده المراكب والمعدات اللازمة لاجتيازه ، فبقى هناك أشهراً عله يفلح فسئمت نفوس رجاله من الانتظار، والحّوا في الرجوع إلى ديارهم، وفي طريق العودة اشتد المرض على تيراب، ومات في بارا، فحنطوه وحملوه إلى جبل مرة مرقد آباه في طره(7).

ثم جاء عبد الرحمن الرشيد (حكم 1787-1802م) حفظ القرآن وقرأ الفقه وعرف الحلال والحرام، ومنذ صغره كان صالحاً تقياً نقياً عفيف النفس، وكان يصوم الاثنين والخميس ويصوم رجب وشعبان ورمضان، يحب أهل العلم ويكرمهم ، بعد أن تولى الحكم جمع كل أرباب الدولة وقال لهم: "إن كان لكم أرب في أن أكون سلطان عليكم، تبطلوا الظلم ولا تتحدث به أنفسكم، وتتوبوا إلى الله تعالى منه، فإن الظلم يخرب الدول، ويقصِّر أعمار الملوك"، فقالوا:(سمعاً وطاعة). ثم لما كان صبيحة اليوم الثالث من توليه، أمر بإخراج خزائن السلطان تيراب، فأخرجت، ففرق ما كان فيها من العين من ذهب وفضة وثياب، على العلماء والأشراف والفقراء، ووجد فيها من الكشمير والجوخ الشئ الكثير، فأمر أن يرمى خارج الدار، وكل من وجد شيئاً ينفعه أخذه، فأخرج فكان كالطود العظيم، واجتمعت عليه الفقراء ينهبونه، وبسطوا أيديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن، ثم كان سابع يوم أخرج جواري السلطان تيراب وفرقها أيضاً ولم يترك إلا الحرائر وأمهات الأولاد(8).

في عهد الرشيد استمر الاتجاه نحو المركزية في تنظيم الدولة والاعتماد على الجيش بدل وجهاء الأقاليم وزعماء القبائل، كما أن تأثير الإسلام قد زاد بسبب النفوذ الذي حظي به الفقرا والعلماء، منع شرب الخمر والزنا، وأمّن الطرق، ثم خلفه محمد الفضل (حكم 1802-1839م) وقد دخلت القوات المصرية للسودان في عهده، واستولت على سلطنة الفونج وعلى إقليم كردفان التابع لسلطنة الفور، وكان ذلك بدء اضمحلال سلطنة الفور، غير أن ذلك اتضح في عهد محمد الحسين (حكم 1839-1873م) والذي تدهورت الأحوال الداخلية في عهده تدهوراً عظيماً، كانت مظاهر ذلك ضعف السلطان إزاء المنافسين له في السلطنة أو النفوذ واللجوء إلى التوسع في توزيع الحوكير بغرض تأليف القلوب أو تحاشي الصرف من خزينة السلطان على المعاونين، وعدم القدرة في تغيير ولاة الأقاليم الذين امتد بهم العهد حتى أرهقوا كاهل الناس، ثم جاءت النهاية على يد الزبير باشا في عهد ابنه إبراهيم قرض (حكم 1873- 1874م) في معركة منواشي(9).

تمتع سلاطين الفور بنفوذ مطلق ، أما الجهاز الذي تحت السلطان لم يكن اكثر من معاون، كان الهيكل الإداري يقوم على أربعة أقسام مقسمة إلى شرتايات وهي :

1. دار (أو (رو) بلغة الفور، أباديما في الجنوب الغربي.
2. دار أبو أومو في الجنوب الشرقي.
3. دار دالي(أو دار الصباح) في الشرق.
4. دار التكناوي (أو دار الريح) في الشمال.

كل قسم مقسم إلى اثني عشرة شرتاية وكل شرتاية مقسمة إلى دمليجيات يديرا دملج(10).

سلطان الفور هو المالك الفعلي لكل أراضي السلطنة والذي لم يحد من سلطته إلا احترامه لشريعة وقانون دالي والعدالة، وهو الذي بيده حق تمليك المزارع، وحق الانتفاع بها لمن يشاء من الناس، وكل قبيلة تحوز الأرض التي تعيش فيها، وتحميها من الآخرين عدا السلطان، وقد وجدت داخل أراضي القبائل قطع مميزة عرفت بأنها مملوكة لأفراد جماعات معينة، وهي التي تسمى حواكير، جمع حاكورة أو إقطاع ، والحاكورة تعني مساحة أرض زراعية معروفة الحدود، تضم بعض القرى أو توهب من قبل السلطان لفرد معين بغرض الاستفادة منها. كان كل أصحاب الألقاب الكبيرة يملكون حواكير وهي من امتيازاتهم وحقوقهم المشروعة عرفاً(11).

تعتبر الأرض في الإسلام ملك الجماعة الإسلامية وخليفة المسلمين أو الإ مام هو الذي تتمثل فيه هذه الملكية بوصفه الوكيل عن هذه الجماعة، ويقوم الناس –أياً كانت صفتهم– باستغلال الأرض مقابل ضريبة يدفعونها إلى بيت المال تبعاً للطريقة التي دخلت بها في حوزة المسلمين، فالأرض التي فتحت عنوة وأجبر اهلها على التسليم تعرف بأرض الغنيمة ويكون التصرف فيها على أحد وجهين، إما أن تقسم على المحاربين على أن يدفع المحارب العشور عليها، وأما أن تترك لأهلها المغلوبين على أن يدفعوا عنها الخراج، وليس من حق الآخرين البيع أو التصرف في الأرض، وقريب من هذا الأرض التي كانت تؤخذ

من المشركين عنوة، وهذا نوع من العقوبة الاقتصادية، فقد كانت تعتبر غنيمة وتوزع على الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العشور، أما الأرض التي استحوذ عليها المسلمون بالصلح مع أهلها الذين يبقون على دينهم فكانت تسمى أرض الفئ، وكانت تترك لملاكها مقابل خراج يدفعونه لبيت المال. أما الأرض التي أسلم أهلها عليها دون قتال فكان عليها ضريبة العشر زكاة، ويحق لهؤلاء التصرف في الأرض بالبيع والشراء، وهناك أرض الموات، وهي الأرض التي لم تعمر والحكم فيها لشروط يتم الاتفاق بين الخليفة والمستغل(12).

يعترف الإسلام بالملكية الفردية ويحترمها ويحافظ عليها وعلى حق المالك في الانتفاع بما يملك، وهو يعترف أيضاً بالملكية العامة، وتعتبر الأراضي مثلها مثل أي شئ آخر، ملكاً لله ووديعة في يد صاحب الملك الزمني، وعلى ذلك فإن الإسلام يعطي الخليفة أو للإمام سلطات واسعة للتصرف في الأرض وتنظيم إجراءاتها، وفي إطار ذلك يقبل الإسلام تطبيق العرف المحلي، ومن هنا كان تداخل الشريعة والعرف في نظم الأرض.

في دارفور كانت الملكية الفردية معروفة بوجه أقوى ، وأمتلك السلاطين وحكام الولايات وقادة الجيش والمقربون إلى السلطان الحواكير، وهي اقطاعيات كبيرة يقتسم فيها المحصول بين صاحب الحاكورة والمزارع، وقد ظل نظام الحواكير سياسة ثابتة للدولة ، لأنها لم تكن تعرف نظام المرتبات التي تدفع لحكام الولايات والقادة، وكان على رجل الدولة أن يصرف على نفسه مما تنتجه حاكورته ولذلك أضحت مساحة الأرض المخصصة لرجل الدولة موازية لمكانته ونفوذه، أما في المستويات العامة فقد عرف نظام الامتلاك الجماعية وخاصة في المناطق الرعوية كما عرف امتلاك الخصوص حيث يتوفر جريان الماء وتسهل الزراعة المستديمة(13).

منح سلاطين الفور الحواكير للفقراء والعلماء الذين يعلِّمون القرآن ويعمِّرون المساجد وينشرون العلم في البلاد، ويعلمون في القضاء والكتابة والدعاء للسلطان طلباً للثواب، وتأليفاً للعلماء والفقرا وترغيباً لهم في البقاء في البلاد للاستفادة من علمهم، وهذا النوع من العطاء السلطاني يشابه ما يعرف في الفقه الإسلامي بالإرصاد، وهو عند الفقهاء نوع من الوقف.

الخوف من الله وكسب الثواب والأجر، وكانت دوافع رئيسة وراء هذه الإرصادات والمنح السلطانية، فالسلطان عبد الرحمن الرشيد أعطى لأسرة محمد حدوج الكناني – وهو من الجوامعة المهاجرين إلى دارفور– حاكورة ضخمة بجديد السيل شمال الفاشر، وكان السلطان تيراب قد أنعم عليهم بحاكورة أخرى في الفرش ، وعمر التونسي حاز على حاكورة في قرلي بجبل مرة ثم حاز على حاكورة أخرى في مكان آخر ، عندما تضرر من قرلي، وفقراء أزقرافا قد حازوا على أراضي أزقرافا على يد السلطان محمد الفضل الذي بنى لهم مسجداً بها، وبجوار هؤلاء في اراري عائلة أخرى من الجوامعة، وكان فقراء طره قد حازوا على أراض فهم الذين يرعون المقبرة الملكية في طرة والأمثلة على ذلك كثيرة(14).

وتتم عملية تمليك الحاكورة إما ابتداءً من السلطان أو تأييداً منه لتمليك سابق، ويتم التمليك بوثيقة تنص على أن السلطان المذكور، أقطع الأرض للشخص المعني اقطاعاً شرعياً كاملاً، وملكه ملكاً تاماً، وغير ذلك من الكلمات والألفاظ للتأكيد، وغالباً ما نجد وثيقة التمليك تأتي على النحو التالي: بعد البسملة ترد جملة من أمير المؤمنين أو من حضرة سلطان... ثم تأتي ألقاب السلطان الفخرية والتعظيمية الكثيرة ثم أسمه مشفوعاً بالدعوات الصالحات ثم تنبيه وإعلان الشخصيات المرموقة في السلطنة، ليعلموا أنه قد وهب فلاناً أرضاً، في وجهة معروفة ، ثم يبين أنه وهبها لوجه الله أو جزاء على خدمة قدمها الشخص المعني، ويحسن أن نعرض نموذجاً من وثائق التمليك:

الوثيقة الأولى :

(من حضرة السلطان الأعظم والملاذ الأفخم سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الأمم سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد إلى حضرة الملوك والحكام والشراتي، والدمالج وأولاد السلاطين والحبايين وأهل دولة السلطان من العرب والسودان، أما بعد فإن السلطان المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل وأمر بمعونته وأعطى العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الأرض كائنة بأي الجدول حاوية لثلاث حلل حلة جولتو والدبه وأم بعوضه بحدودها المعروفة واتخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه منازع من أهل المملكة خصوصاً جبايي العيش

يتصرف فيها بأي نوع من وجوه التصرف شاء هبة لوجه الله تعالى وطلباً للثواب في دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص أو العام(14).

الوثيقة الثانية :

(بسم الله الرحمن الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله مع التسليم وبعد، فيقول العبد الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير نجل الصالحين وسلالة الطيبين الطاهرين أمير المؤمنين وسلطان المسلمين السلطان حسين ابن المرحوم السلطان محمد الفضل أن الفقيه عبد الله بن الفقيه أبي الحسن حضر أمامنا وأبرز لنا أمر والدنا المرحوم السلطان محمد الفضل ونظرنا فيه فوجدنا في قوله يقول أن الفقيه عبد الله ابن الفقيه أبى الحسن فقد أحسن في أولادي وعلمهم القرآن وهذا هو أفضل الإحسان، وكما قال الله تعالى ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان))، فما وجدنا لإحسانه شئ فكافي به ولكني نظرت إلى الأطيان فوجدته باقي إلى الأطيان فوجدته باقي إلى آخر العمار فوجدته أفضل وأقرب لمجازاته وقطعت له شئ من الطين وأوقفت له هبة وصدقة له ولذريته فلا أحد ينازعهم فيه إلى الأبد وحددت لهم حدوداً فلما نظرت إلى أمر والدنا فوجدته أقرب إلى الصواب أتممنا له فيها وأمدينا له العطاء والدنا السلطان محمد الفضل من الهبة والصدقة ليأكل الفطر والزكوات والهامل وسبل العادية وأما الحدود مشا مع الأثر بالتقر وحجر الطين وبوسط الأحجار وصباح القرقور وشق السيل مصبحا بخير خنق ومشا مع أولاد دردوق بأرض النقع وبريح الجبل وبسعيد عايش ملفح وبالحجر واسط القوز وبوسط امهبيلات وبصباح مقرقف وصباح الحجر الدلدوم تحت القوز وريح ومشا مع أولاد خميس وبلال بالحجار البيض ونزل إلى الكركر ومشا مع أهل جديد بالسيل بين النقع والقوز إلى أن جاء بين كراسي ومشا وبين مزارع الإمام سعد الدين وبالسيالاتي بهجيليجة النعش ونزل بالواد وطلع بالبوباي وسعد بن الحجر ونزل بدرب الفاشر إلى التقر وهذا عطاينا إليه)(15).

الوثيقة الثالثة:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده وبعد فمن أعزه مولاه ونصره وهلك أعدائه قايد أزمة العرب والعجم نجل الأكرمين وسلالة

الطاهرين الناشر عدله على رؤوس العالمين الذي جعله الله رحمة للمسلمين ورأفة للفقراء والمساكين القايم في إصلاح العباد ومعمر البلاد الدمرات امير المؤمنين السلطان حسين الرشيد ابن السلطان محمد عجيب أطال الله عمره ونصر جنده آمين ثم آمني إلى كافة خدام الدولة وأربابين الصولة من الوزراء والمقاديم والشراتي وأبناء السلاطين والجبابين والميارم والتكناوي والدمالج والمشايخ وعبيد الدولة ومن يقف على هذه الوثيقة فعلمكم أيها الخدام أن الفقيه إدريس عبد الله وعبد الهادي أخيه وأبكر أخيه وموسى أخيه ومحمدين مطر وأبو البشر مطر قد حضروا وقابلونا بالأتقياء والامتثال (ويسكنون زريبة الشيخ محمد هدوجي الكناني (الزريبة) بأرض جدهم محل القبة الفرش قريفه رغبوا عمارة مسجدهم لتعليم أطفال المسلمين فيه القرآن العظيم وإقامة الأعواث وقد حلفوا كتاب الله أنهم يقيموا في صالح الدعوات أناء الليل وأطراف النهار وتعليم القرآن وحيث أن هذا من شرايع الإيمان وقصدنا عند الله هذا الثواب الجزيل وأن هؤلاء المذكورين محلهم موالي الطريق ما بين جديد والفاشر والواردين والمترددين عليهم فقد أتمنا لهم هذا الجاه مني احتساباً لوجه الله الكريم لإصلاح عباده وإقامة الدعوات الصالحات وتوهب إلينا فيلزم كل من يقف على امري هذا فلا أحد منكم يتعرض إلى هؤلاء المذكورين ولا يجور عليهم ولا يسخر منهم زاملة ولا يتعدى عليه ولا يسمهم بسوء لأني أعطيتهم هذا الجاه إكراماً لتعمير المسجد وتعليم أطفال المسلمين القرآن العظيم فيه وإقامة الدعوات وإكراماً لجدهم ولى الله محمد هدوجي الكناني نفعنا الله ببركة القرآن وهذا مشراطي لمن يقف على أمري ومن يتعدى يصبر مجازاته وينظر حكم الله فيه)(16).

الوثيقة الرابعة:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم، وبعد فمن حضرة السلطان الأعظم والخليفة الأكرم من دانت له جميع الأمم وخضعت له رقاب العرب والعجم أمير المؤمنين الواثق بربه الجليل وراجي عفوه الجزيل ابن الأكرمين وسلالة الطاهرين الطيبين السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا بن المرحوم السلطان محمد الفضل إلى كل من يقف على هذا الرسم ويشاهد ما فيه من الختم من ولاة الأمور أمراء ووزراء والملوك والشراتي والدمالج وأبناء السلاطين والميارم

والحبوبات والجبايين والتوارين والمكاسين وكافة العمال وعموم أهل الدولة وذوي الشوكة والصولة كان الله لهم هادياً وعنهم راضياً آمين ، أما بعد فالسلام عليكم مع كامل الرحمة والبركة لديكم فالذي نعلمكم به أحبابنا أنه بيوم تاريخه الموافق 3 شهر الله شعبان سنة 1316هـ جدوا ولد بخاري من فقرا الجوامع القاطنين بجديد السيل المذكور أعرض لنا وثيقة برسم وختم والدنا المرحوم السلطان محمد حسين المهدي المنصور بالله تعالى رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، تاريخها عام 1260هـ منعوماً بها على أجداده من انعامات وامانة والدنا المرحوم أطيان جهة لبدي وشباب بحدودها المذكورة بالوثيقة الذي عرضه علينا وتلوناها وحيث علمتم ذلك ، وأني من أنجالهم وعترتهم خاصة ومتولى حكمهم الآن بعموم دارفور أتممت أمر الأطيان المذكورة بالتمليك إلى جدوا بخاري وأصدرت له هذا أمراً بيده لحفظه مع أمر والدي المرحوم السلطان محمد حسين المهدي المنصور بالله تعالى رحمه الله عليه لعدم معارضة ولا منازعة إليه في تلك الأطيا ومن يتعرض له فلا يلومن إلا نفسه والسلام على من اتبع الهدى وخشية عواق ب الردى آمين والسلام)(17).

من الوثيقة السابقة : قد تكون الحاكورة في ذرية أحد الفقراء في زمن سلطان معين فإذا مات، جاء صاحب الحاكورة يعرض عليه وثيقة تمليكه للحاكورة من السلطان السابق، ويرجو منه أن يسمح له باستمرار ملكيته للحاكور ، ويوافق السلطان على بقاء الحاكورة في يد صاحبها بعد مراجعة حدودها، وكتابة وثيقة يقر فيها للرجل بملكيته السابقة للحاكورة، ويؤكد موافقته على الملكية الحالية واستمرارها، وربما انتقلت ملكية الحاكورة من شخص إلى آخر إذا رغب مالكها في تحويلها إلى ملكية غيره، وقد ينزع السلطان الحاكورة من صاحبها إذا غضب عليه، أما حواكير الأعيان والفقرا والعلماء بقيت عندهم مدى حياتهم ثم انتقلت إلى ذرياتهم من بعدهم.

الخلاوى :

نمطاً آخراً من أنماط المؤسسات الدينية التعبدية والتعليمية الإسلامية في السودان، فالخلوة هي للكبار دور علم وتثقيف ومنتدى لحوار ديني وخلق اجتماعي ، كما أنها دار ضيافة لنزلاء القرية من العابرين ومحكمة قضاء لفك المنازعات ، يجمع الدارسون على أن

الأوقاف مثلت مصدراً مهماً من مصادر دخل الخلاوى ، الأوقاف التي حظيت بها هذه الخلاوى مختلفة ومتنوعة، وشكلت الأراضي الزراعية أهمها لاسيما تلك التي أرصدها السلاطين للشيوخ والفقهاء والمتصوفة المشرفين على هذه الخلاوى، ومن ذلك مثلاً أن السلطان حسين بن السلطان محمد الفضل كما ورد في الوثائق السابقة وقف طين- أرض – على الفقيه عبد الله بن الفقيه ابي الحسن لتدريسه أولاده ليستعين بهذه الأرض في تعليمه لأطفال المسلمين، وقد يكون الوقف على الخلاوى من أنواع الوقف المنقول كالكتب والمصاحف التي تسهم في العملية التعليمية، والرقيق الذي يساعد في خدمات الخلوة(18).

اهتم سلاطين الفور بالعلماء والفقراء اهتماماً كبيراً وأعلو من شأنهم وأكرموهم، فالفقيه مقدّم في الرأي والفتوى في القرية وهو إمام الناس ومعلمهم ، وحتى الطعام هو من يبدأ بأكله في المناسبات الاجتماعية، يتولى السلطان والمجتمع مؤونته ومعاشه ، حيث أن السلطان يقطعه حاكورة الجاه، وأهل القرية يعمرون له الحاكورة بالزراعة في نفير طوال الموسم، المجتمع يعلي من شأن الفقراء والحفظة حيث يسهل لهم الزواج بدون مهر ولا ترد خطبتهم، وقد حظيت دارفور بكوكبة من العلماء من خريجي الأزهر الشريف أشهرهم حسين ولد عماري الذي تولى تربية وتعليم السلطان محمد الفضل (حكم 1801-1839م) ، وسلامة بن الفقيه مالك وفخر الدين بن الفقيه محمد سالم، والإمام الضو بن الإمام المصري أمام السلطان إبراهيم قرض (حكم 1873-1874م) وكانوا يحظون بمكانة رفيعة حيث طلب إليهم الزبير باشا رحمة أن يتوسطوا بينه والسلطان إبراهيم قرض حتى لا تقع حرب بينهما حقناً لدماء المسلمين ، ومعروف أن لدارفور رواق في الأزهر الشريف منذ زمن بعيد(19).

وضع سلاطين الفور ضمن القابهم في حججهم الشرعية لقب "خادم الحرمين الشريفين" وقد دلل هذا على ارتباط هؤلاء السلاطين في الحرمين الشريفين وسعيهم لخدمتهما وخدمة زوارهما، فلا غرو أن كان لسلاطين الفور أوقافهم في الحرمين الشريفين في مكة والمدينة المنورة، وأبرزها ما وقفه السلطان شاو بن السلطان رفاعة ملك التنجر في

المدينة المنورة عام 890هـ، حيث ورد في نص وقفيته أنه (أوقف وحبس وسبل وحرم وحل وحلل وأبّد وأكد وتصدق بما هو جار في ملكه وبيده وحوزه وتصرفه من الأماكن والنخيل والبساتين والدور الكائن ذلك بالمدينة الشريفة المنورة). أما الموقوف عليهم فهم جماعة الفقراء البررة المقيمين بالمدينة المنورة .. بالسوية بينهم لا يفضل أحدهم على باقيهم ، يستقل به الواحد منهم عند الانفراد ويشترك فيه الاثنان فما فوقهما عند الاجتماع أما في حال انقراض هذه الفئة وموتها فيصرف الريع على فقراء المدينة المنورة ، ومتى ما وجد البررة ولو واحد منهم رجع ذلك إليه وقدم على غيره. واشترط الواقف نظارة الوقف لنفسه أيام حياته وله أن يسنده ويفوضه ويوصي به لمن شاء فإذا تعذر فلحاكم المسلمين الحنفي بالمدينة ثم من بعده لمن يلي وظيفته.

ومن أوقاف الفور المشهورة في الحجاز الوقف الذي وقفته إحدى أميرات الفور في عهد السلطان تيراب في جدة، وتعرف هذه الأميرة باسم الميرم مريم أبكر شرف الدين، فمما يروى أنه وعقب مجئ هذه السيدة للحج استقر بها المقام في جدة واشترت أرضاً وقفتها قبيل وفاتها على الفقراء والمساكين والعجزة من أهلها القادمين للحج ممن ليس لهم مأوى، وقد عرف هذا الوقف بعدة مسميات في تاريخه الطويل منها (حارة بره، وحوش الحاكورة، وحاكورة الفور)(20).

كان سلاطين الفور يرسلون العبيد الخصيان ليعملوا سدنة لخدمة الحرمين الشريفين، إضافة إلى صرة ومحمل ، خاصة في زمن السلطان علي دينار، في عام 1291هـ أرسل السلطان إبراهيم قرض سلطان الفور صرة وستة أغوات لخدمة البيت الحرام، والحرم النبوي الشريف ، يحسن بنا أن نعرض الوثيقة.

(واصل من أميردارفور لحضرت الخديوي عشرون سنان من سن الفيل وزنها قنطار، وست أغوات صحبة الحاج حمزة سر تجار وأخيه محمود يصل أنشاء الله تعالى وربنا يديم الاتصال، ثانياً يكون معلوم حضرتكم أدام الله دولتكم ومتعكم فيها قد أرسلنا الحاج إدريس صحبة المذكورين متوجه للحرمين معه صرة لمكة وأغوات لخدمة الحرم الشريف

يكن معلوم حضرتكم من بعد الوصول يصير توجه الحاج إدريس هناك أدامكم الله تعالى والسلام). 4 رجب 1291هـ.

الوثيقة الثانية:

(من أمير دولة فور السلطان إبراهيم المعتصم بالله تعالى أمين إني حضرة المستلم كبير الأغوات خادم الحرم المدينة المنورة دام عزه آمين.

(بعد السلام عليكم فنحن نحمد الله طيبين الذي واصل لكم ألف ريال وباقي الصرة يصير تفريقها على يد الحاج إدريس بموجب القائمة التي تحت يده والسلام)(21).

(دفتر مبارك مرسول من حضرة أمير دارفور السلطان إبراهيم المعتصم بالله تعالى آمين إلى الحرمين الشريفين وفيها عشرون ألف ريال منها عشرة يصرف في مكة وعشرها منها للمدينة المنورة

أهل مكة

3000 للشريف عبد الله
2000 للأغوات كافة
500 للمأمور بتاع جده
500 خدمة بئر زمزم
500 بنو أشيب
200 إمام الحنفي
800 طلبة العلم والمدرسين
200 للبوابين
400 للمطوفين
500 للعاجزين
400 لأغوات السلطان حسين
400 دخول الأغوات الاثنين
وما زاد يصرف للمستحقين هناك وكل من أخذ حقه يضع ختمه بالواصل

أهل المدينة

1000 تسلم كبير الأغوات
1000 أغوات المفتاح
500 أهل البقيع
2000 بقية الأغوات
500 للمطوفين
500 مأمور المدينة
400 للأغوات سلف السلطان حسين
500 شيخ الدلائل
500 طلبة العلم والمدرسين
400 أهل الطريقة
200 للبوابين
200 محافظين مسجد قبا وسيدنا حمزة
500 عاجزين هناك

500 للمؤذن
700 إمام الراتب
وما زاد يصرف للمستحقين هنا وكل منهم يعطي حقه ويعطى رخصة بذلك(21).

أصل كلمة أغوات جمع أغا، وهم الرقيق الخصيان الذين يرسلون للخدمة في الحرمين الشريفين. إن إيقاف أشخاص لخدمة المسجد الحرام بمكة بدأ قبل الإسلام، وكان يقوم بالخدمة فيه أحرار أهدوا أو نذروا لهذا العمل وكان يقوم بها أمراء مكة، أما في صدر الإسلام والدولة العباسية فكان يقوم بخدمة الكعبة الشريفة والحجرة الشريفة الفقهاء والصوفية وأهل العلم. وفي رأي آخر أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه هو أول من أوقف العبيد الخصيان لهذه الخدمة. وفي رأي ثالث أنه جعفر المنصور، وبالنسبة للمسجد النبوي فهناك اختلاف في أول من أوقف الأغوات لخدمة المسجد السلطان صلاح الدين أم السلطان نور الدين. عدد الأغوات في كل المسجدين يزيد وينقص حسب عدد الراغبين في الوقف والأهداء، وقد كان معظمهم من الهنود ثم صار أكثرهم من الأحباش والصقالبة وسودانيين(22).

واهتم سلاطين الفور بإرسال المحمل الذي ظل يخرج من دار فور وبه نفائسها من عاج وريش وجلود فيما عرف بصرة الحرمين الشريفين لكسوة الكعبة وأعطيات للقائمين بأمرها ومسجده صلى الله عليه وسلم ومن أشهر من حافظ على المحمل السلطان محمد حسين والسلطان على دينار صاحب الآبار الشهيرة والسلطان إبراهيم قرض المشار إليه في الوثائق السابق ذكرها.

المراجع

(1) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق: خليل محمود عساكر، مصطفى محمد مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ، 1965م ، ص 136.

(2) موسى المبارك الحسن، تاريخ دارفور السياسي (1882-1898م) ، دار النشر جامعة الخرطوم، ص 26.

(3) الأمين محمود محمد عثمان سلطنة الفور الإسلا مية 1400- 1916م ، دراسة تحليلية ، الدار الوطنية ، الخرطوم، 2000م، ص 128.

(4) محمد إبراهيم أبو سليم ، الفور والأرض، وثائق تمليك، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم، 1975م، ص 15.

(5) محمد موسى محمود قمر الدين ، صفحات من تاريخ دارفور، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة، 2015م، ص 15.

(6) إبراهيم موسى ، عواصم سلاطين دارفور – مدينة الفاشر نموذجاً، مجلة المؤرخ السوداني ، العدد الثالث، 2015م، ص 15.

(7) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2007م، ص 452.

(8) محمد بن عمر التونسي، مرجع سابق، ص 99.

(9) محمد إبراهيم أبو سليم ، الفور والأرض، مرجع سابق، ص 20.

(10) أوفاهي، ر.س، الدولة والمجتمع في دارفور، ترجمة: عبد الحفيظ سليمان عمر، ط1، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2000م، ص 87.

(11) محمد إبراهيم أبوسليم ، الأرض في المهدية، مركز أبوسليم للدراسات ، الخرطوم 2011م، ص9

(12) محمد إبراهيم أبوسليم الأرض في المهدية،المرجع السابق، ص 9.

(13) محمد إبراهيم أبوسليم، الفور والأرض، مرجع سابق، ص 86.

(14) محمد بن عمر التونسي، مرجع سابق، ص 86.

(15) محمد إبراهيم أبو سليم ، الفور والأرض، ص 124.

(16) محمد إبراهيم أبوسليم، الفور والأرض، ص 127.

(17) المرجع السابق، ص 131.

(18) عمر عبد الله حميده أحمد، الأوقاف الإسلامية في السودان (1504-1989م)، تاريخها وتطورها وتقنينها، رسالة دكتوراة، جامعة الخرطوم، غير منشورة ، 2013م.

(19) محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، 1985م، ص 48.

(20) عمر عبد الله حميدة ، مرجع سابق، ص 96-97.

(21) الأمين محمود محمد ، مرجع سابق، ص 415.

(22) أحمد عبد الرحيم نصر، الأغوات، دراسة تاريخية مقارنة لأغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم، 1986م، ص 53.